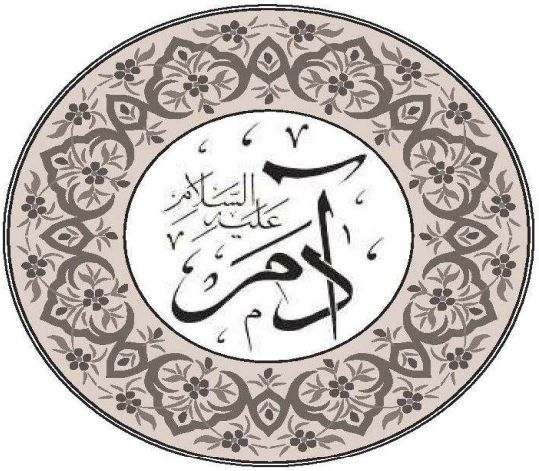

قصّة آدم عليه السلام وحواء
قصّة قابيل وهابيل

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الكلمة © 2020

مدخل إلى قصّة آدم وحواء

﴿فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾
[سورة طه: 117]

آدم وحواء هما شخصيتان أساسيتان في الديانات الإبراهيمية الثلاث لأنهما أوّل من خلق الله من البشر. واسم آدم في اللغة العبرية يعني الإنسان بينما اسم حواء مشتق من كلمة حياة. ولم ترد أيّ إشارة في قصة آدم وحواء هنا إلى مكان دفنهما، بينما أشارت إلى عمر آدم عند وفاته إذ عاش 930 سنوات (انظر سفر التكوين 5: 5).

جاء في قصّة خلق آدم وحواء أنه تمّ خلقهما كظل الله، ويقابل تعبير ظل الله في التوراة تعبير صورة الله. وهذا التعبير مجازي يشير إلى السلطة والحكم من عند الله. وفي العالم القديم اعتبر الملوك أنهم ظل الله في الأرض بينما أكّد الله في التوراة أنه منح هذه الميزة لكل البشرية رجالا ونساء ابتداء من آدم، لذا فإنّ الناس جميعا بلا تفرقة هم خلفاء الله في الأرض كما تؤكد ذلك سورة البقرة أيضا، الآية 30، وسورة الأنعام الآية 165.

خلق الله أوّل امرأة من جسد رجل، وهذا يعني ((أنهما باقترانهما يؤلفان عائلة جديدة ويصبحان واحدا)) [التوراة، سفر التكوين 2: 24]. لهذا السبب فإنّ ولاء أحدهما نحو الآخر يجب أن يكون أقوى من ولائهما لوالديهما. واقتبس السيد المسيح من هذه الكلمات في التوراة حين تكلّم عن مسألة الزواج والطلاق قائلا: ((باقترانهما يصبحان واحدا، فما جمعه الله لا يفرّقه إنسان)) [الإنجيل، متّى 19: 6].

وهناك موضوع آخر جدير بالذكر في سفر التكوين، وهو صلة الربط بين آدم والأرض ونراه في استعمال الكلمتين آدم وأديم وما يجمعهما من مشترك لغوي. فعندما عصى آدم وحواء الله لحقت بالأرض لعنة. ومنذ ذلك الوقت كان آدم (عليه السلام) مجبرا على العمل بجهد لكي يكسب رزقه، وربّما كانت هذه اللعنة سببا في الغربة بين البشر والأرض. وأخبر الله آدم بعقابه،

إذ سيأكل طعامه ((بجهد جهيد)) [التكوين 3: 17]. وستلقى حواء عقابا موازيا لِما سيحلّ على آدم إذ ستلد ((بجهد جهيد)) [التكوين 3: 16]. ورغم هذا العقاب الذي أرسله الله على آدم وحواء، يحقّق الله وعده في النهاية بحلول المملكة الربانية ((فلا لَعنةَ تُلاحِقُ أهلَ هذِهِ المَدينةِ المَحروسة بَعدَ الآنَ)) [كتاب الرؤيا 22: 3]. وقد أوحى الله على لسان النبي أشعيا ((فيسكن الذئب مع الخروف ويرقد النمر مع الجدي ويكون العجل والخروف في أمان مع الأسد ويقودهم جميعا طفل صغير...وفي جبل الله المقدّس لا شيء يؤذي ولا شيء يضرّ لأنّ الأرض ستمتلئ بالعارفين بالله امتلاء البحار ماء)) [كتاب النبي أشعيا 11: 6، 9].

ونرى إشارة إلى خطيئة آدم وحواء في القرآن حيث جاء فيه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [سورة طه: 121]. ونستطيع أن نفهم عاقبة عصيان آدم وحواء بطرق متعددة، فمثلا كتب الحواري بولس ما يلي: ((كان آدم أول من أذنب من الناس، ففتح باب الإثم على الدنيا، ونتج عن ذلك الموت، وسرى الهلاك إلى كل الناس لأنهم خطاؤون جميعا)) [رسالة بولس إلى أحباب الله في روما 5: 12]. ويذكر بعض الباحثين الذلّ الذي حلّ على آدم وحواء وكيف لحق بكلّ ذريّتهم مع أنّهم لم يرتكبوا الخطيئة ذاتها التي ارتكبها آدم وحواء.

وعندما استمع آدم وحواء إلى وسوسة الحيّة (وجاء تفسيرها في الديانات الإبراهيمية بأنها رمز الشيطان) غلبتهما بحيلها وفتحا بابا لتأثير الشّيطان عليهما ولأذاه عليهما وعلى نسلهما. وأوحى الله أنه سيجعل عداوة بين الحيّة والمرأة، ((وسيسحق نسل المرأة رأس الحية)) وبين نسلها وبين ما ينحدر من الحيّة. أمّا بالنسبة إلى نسل حواء فقال الله إنّ نسلها سيسحق رأس الحية. ويؤكّد الحواري بولس إتمام هذا الوعد بخصوص السيّد المسيح إذ قال: ((واللهُ الّذي يَهبُ السّلامَ، سيَجعَلُ الشَّيطانَ تَحتَ أقدامِنا قَريبًا)) [الرسالة إلى أحباب الله في روما 16: 20]. وجاء هذا تحقيقا لوعد الله المتعلّق بحواء ونسلها.

وبعد مرور قرون من الزمن، وعند عودة بني يعقوب من سبيهم في بلاد بابل حيث أرسلهم الله عقابا على ذنوبهم، أخذوا ينظرون إلى أنفسهم كأنّهم جميعا بمثابة آدم الثاني. فكما عصى آدم ربّه ثم طُرد من الجنة كذلك عصى

بنو يعقوب الله وطُردوا من أرض الميعاد. أمّا في الإنجيل فنستطيع أن نرى كيف تتطوّر هذه الفكرة، ولكنّ السيد المسيح هنا بمثابة آدم الجديد لكن بطريقة مختلفة. فالسيد المسيح أطاع الله وبطاعته جعل أمّة الله تعود إلى الجنة. وكتب الحواري بولس بهذا الخصوص ما يلي: ((فلقد جاءَ في التَّوراةِ: "فكانَ آدمُ، الإنسانُ الأوَّلُ، كائِنًا حيًّا". أمّا سَيِّدُنا عيسى فهو بمَثابةِ آدمَ الأخيرِ ورُوحِ اللهِ وهو مَن سيُحيي أَرواحَنا.. وهكذا تَرَونَ أنّ الجِسمَ الدُّنيَويَّ يأتي أوَّلاً، أمّا الجِسمُ النّورانيُّ فيأتي لاحِقًا، وإنّ آدمَ، الإنسانَ الأوَّلَ، أرضيٌّ مِن تُرابٍ، أمّا السَّيِّدُ المَسيحُ، الإنسانُ الثّاني، فهو مِن السَّماءِ)) [رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس 15: 45-47].

بسم الله تبارك وتعالى
قصّة آدم وحواء

خلق آدم وحواء[٧]

عندما بدأ الله خلق السّماوات والأرض، لم يكن في الأرض شجر ولا عشب، لأنّ الله لم يرسل بعد مطرًا ليسقي الأرض ولم يخلق الإنسان بعدُ ليفلَحها. وإنّما كانت عيون الماء تفيض من جوف الأرض فتسقيها. وخلق الله الإنسان من أديم الأرض، من تراب خلقه،[٨] ونفخ فيه من روحه، فأصبح آدم (عليه السّلام) إنسانا ينبضُ بالحياة. وجعل الله سبحانه وتعالى بستانا خصيبا في الأرض ناحية عدن من جهة الشرق، وفيه وضع تعالى الإنسان الذي خلقه. وكان هذا البستان جميلا جدّا، مليئا بكلّ أنواع الأشجار، ما حسُن مَنظرها وما لذّ مأكلها. وهذا المكان بمثابة جنّة الله في الأرض، تتوسّطه شجرتان، شجرة الخلد ومَن يأكل منها يعيش أبدًا، وشجرة معرفة الخير والشرّ. ويجري من عدن نهرٌ يسقي الجنّة، ويتفرّع إلى أربعة أنهار. فيشون اسم النّهر الأوّل، ويمرّ بأرض الحَويلة الغنيّة بأجود أنواع الذّهب والصّمغ الفوّاح وحجر العقيق. وجيحون اسم النّهر الثّاني، ويمرّ بأرض كوش.[٩] ودجلة اسم النّهر الثّالث، ويجري شرق أشّور. والفرات هو اسم النّهر الرّابع.

وجعل الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السّلام) في هذه الجنّة الخصبة ليعتني

---

(٧) استنادا إلى كتاب التكوين 2: 4-25.

(٨) يذكر الطبري في تفسيره أن بعض العلماء أكّدوا ما يلي: "ومن ثم سمي آدم لأنه خُلق من أديم الأرض". انظر أيضا سورة ص الآية 71 وسورة الروم الآية 20.

(٩) يبدو أنّ اثنين من هذه الأنهار الأربعة، فيشون وجيحون، لم يعد لهما وجود. ويعتقد بعض الباحثين أنّ جنّة عدن كانت تقع في المنطقة التي صارت مع مرور الوقت الخليج العربي، وأنّ النهرين المذكورين كانا يصبّان في هذه المنطقة.

بها ويحميها، وأمره:[1] "لك أن تأكل من كلّ شجر الجنّة، إلاّ شجرة معرفة الخير والشرّ، إنّك إن تأكل منها تلقى الهلاك لا محالة".[2]

ثمّ قال اللهُ: "لا خير في بقاء هذا الإنسان وحيدًا. سأَخلق له نظيرا يؤنسه ويشاركه حياته". وقدّم الله أمام آدم (عليه السّلام) كلّ الحيوانات والطّيور التي خُلقتْ من تراب مثله، حتّى يختار لها أسماء.[3] ففعل ذلك، ولم يكن من بين كلّ هذه المخلوقات من يؤنس آدم ويشاركه حياته. فأغشاه الله في سُبات عميق وأخرج من جنبه ضلعًا وملأ مكان الضلع لحمًا. وجعل الضلع امرأة وأعطاها لآدم لتكون له زوجة ورفيقة. فقال آدم (عليه السّلام):

"هذه عظمٌ من عظامي،
ولحمٌ من لحمي.
اسمُها منذ الآن امرأةٌ،
لأنّها مِن امْرئٍ أُخِذتْ".

لهذا السّبب يترك الرّجل أمّه وأباه ليقترن بزوجته، فيؤلفان عائلة جديدة وباقترانهما يُصبحان واحدًا.

وكان آدم وحوّاء لمّا خلقهما الله عريانين، لم يعرفا ذلك ولا كانا على حياء منه.

عصيان آدم لربّه[4]

وكانت الحيّة أشدّ الحيوانات الّتي خلقها الله مكرًا، وفي أحد الأيّام تكلّم الشّيطان على لسان الحيّة فقالت لحوّاء: "هل نهاكما الله حقًّا من أن تأكلا من شجر الجنّة؟" فردّت عليها حوّاء: "كلاّ، إنّا قادران أن نأكل من كلّ أنواع

---

(١) ذكر الطبري في تاريخه أن أبا ذر وهو أحد الصحابة، قال: قلت، يا نبي الله، أنبيًا كان آدم؟ قال: "نعم، كان نبيًا، كلّمه الله قبلا".

(٢) قارن سورة البقرة: 35.

(٣) انظر سورة البقرة: 31.

(٤) استنادا إلى كتاب التكوين 3:1-24.

شجرها هنا، إلاّ الشّجرة الّتي تتوسّط الجنّة فقد نهانا الله عن ثمارها وأمرنا قائلا: "إيّاكما أن تـأكلا من ثمرها، بل لا تلمساها، إنّكما إن فعلتما ذلك تصبحان من الهالكين". فقالت الحيّة: "لن تهلكا! إنّ الله عليمٌ أنّكما حين تأكلان من ثمر الشّجرة تنفتح بصيرتكما وتصبحان ذا نفوذ تميّزان الخير من الشرّ". وصدّقت حوّاء كلام الحيّة، وعندما نظرت إلى الشّجرة ورأت أنّ ثمرها طيب المذاق شهي المنظر، وأرادت من أكله الحكمة، فقطفت ثمرا وأكلت منه، وأعطت زوجها فأكل بدوره.[٥] وما إن أكلا حتّى تفتّحت بصيرتهما وعلما أنّهما عريانان فغطّيا نفسيهما بورق التّين.[٦] وهبّت رياح عاتية، وسمعا وَقْعَ صوت الله في الجنّة[٧] فقاما مسرعين وحاولا الاختباء بين الأشجار. فنادى العليم القدير آدم (عليه السّلام): "يا آدم أتختبئ منّي؟" فأجاب آدم: "إنّي، يا ربّ، سمعتُ صوتك في الجنّة فخفتُ واختبأتُ لأنّي عريان". وقال الله العليم البصير: "ألا تخبرني كيف عرفت أنّك عريان؟ هل أكلت من الشّجرة التي نهيتك عنها؟"[٨] فأجاب آدم (عليه السّلام): "كلاّ إنّما حوّاء المرأة التي خلقتها لي، أطعمتني من فاكهة الشّجرة، فأكلتُ". وسأل الله حوّاء: "ماذا فعلتِ؟" فردّت حوّاء: "إنّها الحيّة! خدعتني وجعلتني آكل من الشّجرة!" فقال الله سبحانه وتعالى للحيّة:

"من أجل ما فعلتي،
أنت ملعونة من بين كلّ الكائنات،
على بطنك تزحفين ومن التّراب طول حياتك تأكلين

---

(٥) انظر سورة طه: 121.

(٦) انظر سورة الأعراف: 22.

(٧) يذكر الباحث جيفري نيهاوس أنّ الكلمات التوراتية التي تُرجمت غالبا بـ"ريح النهار" تعنى "رياح العاصفة" على مثال المعنى في اللغة الأكدية القديمة. وبما أنّ الله اختار أن يتجلّى وسط العاصفة في كثير من الأوقات، فمن المستحسن ألاّ نفهم النص العبري هنا بأنّ آدم وحواء سمعا "صوت الله وهو يتمشّى" بل سمعا "وقع" أو "صدى" صوت الله.

(٨) كان الله عليما أن آدم أكل من الشجرة، ورغم ذلك سأله تعالى توبيخا له. ونجد هذا المعنى أيضا في سورة طه، الآية 16، حين يسأل الله النبي موسى عما يكون في يمينه، وطبعا لا يحتاج الله هنا أيضا إلى توضيح من النبي موسى.

وأقيم عداوة بينك وبين المرأة
وبين نسلها وفصيلتك
هو يسحق رأسك
وأنتِ عقبه تلدغين".

ثم قال الله لحوّاء: "لأنّك فعلتي ما طلبَت منك الحيّة وما أطعتي كلامي،
فليكوننّ حملك ألمًا شديدًا
ولتلقينّ حين تلدين جهدًا جهيدًا
ولتكوننّ رغبتك في التحكّم في زوجك عظيمة،
ولكنّه هو الّذي يتحكّم فيك".[٩]

وقال الله لآدم (عليه السّلام):

وأنت يا آدم ما كان لك أن تعصي وصيّتي،
ولكنّك اتّبعت كلام زوجتك وأكلت من الشّجرة الّتي نهيتك عنها.
وبسببك تحلّ على الأرض لعنةٌ
وبجهد جهيد لتأكلنّ طعامك من الأرض طول حياتك،
فإنّها لن تنتج لك ثمار فقط
بل ستنبت لك الأشواك أيضًا.
وستأكل من تعبك وعرق جبينك
إلى أن تعود إلى أديم الأرض الذي منه خُلقت،
لأنك من تراب وإلى التّراب تعود".

وسمّى آدم زوجته حوّاء لأنّها أمّ كلّ حيّ من البشر.
واتّخذ الله لآدم وحوّاء ثوبين من جلد ليسترهما.[١] وكان الله عليما أنّ

---

[٩] بعد مجيء السيد المسيح، قال الحواريون للمتزوّجين ألاّ يسعوا إلى تسلّط أحدهما على الآخر، بل عليهما احترام مكانة بعضهما بعض، ولذلك لا يتقيّد أتباع السيد المسيح بما جاء في هذه الكلمات.

[١] انظر سورة الأعراف: 26.

الإنسان صار مثله يعرِفُ الخير والشرّ، فقال: "إيّاه الآن أن يقترب من شجرة الخلد أيضًا، إنّه إن يأكل منها يحيى إلى الأبد".

لذلك أخرجهما الله من الجنّة الخصبة، وأرسل آدم (عليه السّلام) إلى الأرض التي خُلق منها ليزرعها. وبعد أن أخرجهما الله من الجنّة، أقام سبحانه وتعالى على الطّريق المؤدّية إلى شجرة الخلد عددا من الملائكة المقرّبين[٢] ومعهم سيف يشتعل نارًا ينتقل من جهة إلى أخرى ليحرسوها.

[٢] ويُعرف هؤلاء الملائكة في ترجات أخرى بـ"كروبيم" وهم مجموعة من الملائكة حملة العرش.

بسم الله تبارك وتعالى
قصّة قابيل وهابيل

قابيل يقتل أخاه هابيل[٣]

وحملت حواء من آدم (عليه السلام) وأنجبت له ولدًا وسمّياه قابيل. وقالت: "إنّ الله رزقني فأنجبت الإنسان الّذي وعد الله به!" ثمّ رُزقت بولد آخر وسمّته هابيل. وبعد أن كبر الولدان أصبح هابيل راعيًا للغنم، وأصبح قابيل فلاّحًا. وذات يومٍ قدّم كلّ من قابيل وهابيل قربانًا لله إكراما له تعالى، فقدّم قابيل من ثمار الأرض، واختار هابيل أحسن أبكار الغنم التي يملكها وذبحها وقدّمها قربانًا لله.

فرضي الله تعالى عن هابيل وقبل قربانه، ولم يرض عن قابيل ولم يقبل قربانه.[٤] واستشاط قابيل غضبًا وأصبح وجهه عابسًا. فحذّره الله قائلا: "لماذا أنت غاضب ووجهك عابس؟ لو أنك فعلت الصواب لرضيتُ عنك. ولكن إن رفضتَ الصواب، فالرغبة في ارتكاب الشرّ مثل حيوان مفترس ينتظر أن يهجم عليك، وهو في لهفةٍ للهيمنة عليك، وعليك أن تبادر بالهيمنة عليه".

ومرّت أيام وطلب قابيل من هابيل أن يصحبه إلى الحقل، ولمّا وصلا هجم قابيل على أخيه وقتله.[٥] فأحدث دمه بِرَكًا في الأرض، فجاء قولُ الله إلى

---

(٣) استنادا إلى كتاب التكوين 4: 1-16.

(٤) لا توجد إشارة واضحة في هذا النص توضّح لماذا لم يرض الله عن هدية قابيل. لكن الواضح في الأمر أن الله يعرف نوايا البشر وهو على يقين أن قابيل لم يكن يرغب في تقديم هدية ذات قيمة لله. وفي التوراة يوجد نوعان من التقدمة لله هما الحبوب والذبيحة، ولذلك فإن الله كان يعرف نوايا قابيل في التقدمة التي اختارها له. فقابيل لم يفعل الصواب ولم يقدّم هدية تليق بجلال الله، لذلك حذّره الله بأن يكبح ردة فعله ويسيطر على عواطفه.

(٥) يخبر اليعقوبي في تاريخه: "قرّب قابيل من بين زرعه وقرّب هابيل أفضل كبش في أغنامه لله، فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل، فازداد نفاسة وحسدا وزيّن له الشيطان قتل أخيه فشحده بالحجارة حتّى قتله".

قابيل: "أخبرني، أين أخوك هابيل؟" فردّ قابيل: "هل أنا حارس لأخي حتّى أعرف أين هو؟" فردّ قولُ الله: "ما هذا الذي ارتكبته؟! إنّ دم أخيك يصرخ إليّ من الأرض وقد وصلني صوته! والآن أنت مغضوب عليك في الأرض التي فيها سفكت دم أخيك بيديك. ومن الآن فصاعدًا، فإنّك لن تجني ممّا زرعتَ ثمرًا، وستكون طريدًا شريدًا في الأرض كلّها".

فأجاب قابيل: "إنّ ذنبي أكبر من أن أتحمّله، وإنّه لوزرٌ فوق طاقتي! طريدا شريدا في الأرض جعلتني، ويسعى إلى قتلي كلّ من وجدني، لأنّك أبعدتني عن هذه الأرض وحجبت عنّي وجهك".

فجاء قول الله مرّة أخرى: "لا، بل يكون عقاب من يقتلك بسبعة أضعاف عقابك".[٦] ووضع الله علامة على قابيل حتّى لا يقتله من يعثر عليه. وهكذا خرج قابيل من حيث تجلّيات الله وأقام في أرض نود - أي بلاد الضياع- شرق عدن.

نسل قابيل[٧]

وتزوّج قابيل ورُزق بولد وسمّاه حَنوك وكان في تلك الأثناء يبني مدينة فأطلق عليها اسم حَنوك على اسم ابنه. وحَنوك أنجب عِيراد، وعِيراد أنجب مَحويل، ومَحويل أنجب مَتوشِيل، ومَتوشِيل أنجب لامِك. وتزوَّج لامِك امرأتين إحداهما تُدعى عادة والأُخرى صِلَّة. فولدت عادةُ يابال وهو أوّل مَن سكن الخيام ورعى المواشي، واسم أخيه يُوبال وهو أوّل مَن عزف بالعود والمزمار. وأنجبت صِلَّة ولدا اسمه توبال قابيل، وهو أوّل مَن اشتغل بصناعة النّحاس والحديد، وكان لديه أُختٌ اسمها نِعمَة.

وقال لامِك لزوجتَيه:

أصغيا لِكلامي جيّدًا. إن جرحني رجلٌ سأقتله،

---

(٦) هذه الفكرة تكشف أن الله يعرف مدى فظاعة الجريمة التي ارتكبها قابيل. ولكن من الوهلة الأولى يظهر للقارئ أن الله قد حمى المجرم (القاتل)، لكن الحقيقة أنّ الله أراد أن يمنع جرائم أخرى قد لا تنتهي مع وجود الثأر.

(٧) استنادا إلى كتاب التكوين 4: 17-24.

حتّى وإن ضربني ولدٌ سأقتله!
فإن كان يُنتقَم لقابيل سبعة أضعاف،
فأنا سأنتقم لنفسي سبعة وسبعين مرّة".[٨]

نسل شيت[٩]

وبعد مدّة حملت حوّاء مرّة أخرى وأنجبت ولدًا سمّته شيث، وقالت: "الحمد لله، لقد عوّضني الله ورزقني ولدًا بدل هابيل الذي قتله قابيل". وأنجب شيث ابنًا وسمّاهُ أَنوش. وفي ذلك الوقت بدأ عامّة الناس في عبادة الله.

---

[٨] قال الله إنه يجازي من يؤذي قابيل سبعة أضعاف، ولكن لامك قال إنه سينتقم لنفسه ولن يترك الأمر لله. ويعتقد الباحثون أن لامك استخدم الرقم 77 هنا بطريقة مجازية لكي يشير إلى الانتقام بلا حدود. والله أوحى للنبي موسى بوضع حد للانتقام عندما أنزل الوصية "العين بالعين والسن بالسن" (التوراة، الخروج 21: 23-25). ولكن الله قصد أن يرفع البشر إلى أخلاق أسمى من ذلك. فالسيد المسيح عندما سأله أتباعه كم مرة يسامح المؤمن أخاه المؤمن إن أخطأ بحقه، فاستعمل الرقم نفسه 77 الذي قاله لامك، وبهذه الطريقة لمح إلى أن المؤمن عليه أن يسامح بلا حدود، كما ادّعى لامك أن لديه الحق أن ينتقم بلا حدود. وموقف لامك المتوحّش يختلف بشكل جلي عن مقاصد الله السامية التي علّمها السيد المسيح للناس (انظر الإنجيل، متّى 18: 22).

[٩] استنادا إلى كتاب التكوين 4: 25-26.

نَسْلُ آدَمَ وَحَوَّاءَ إِلَى النَّبِيِّ نُوحٍ عليه السلام